أوغاريت وماري

أولاً: العلاقات في العصر البرونزي الحديث

بقلم: مرغريت يون
« بعثة التنقيب الفرنسية في رأس الشمرة »

تعريب: بشير زهدي

من وجهة نظر (الحضارة المادية) ، يبدو ان (اوغاريت) ذات اختلافات عديدة تفصلها عن عالم الفرات الذي هي غريبة تماما عنه . فهي مدينة متوسطية ، قدمت بكثرة وثائق صادرة عن مصر والعالم الايجي وقبرص والمناطق الساحلية من الشرق . وهذا واضح بشكل خاص في العصر البرونزي الحديث .

ومع ذلك ، فان (الحضارة المكتوبة) تشكل دليلا اكيدا على المرجع المستمر الى عالم (بلاد ما بين النهرين) بواسطة المناطق السورية في الفرات ، وذلك كما تؤكده النصوص العديدة المكتشفة في (مسكنه – ايمار) ، وبالتأكيد ، يمكن ذكر عادة اتخاذ اللغة الاكادية في الوثائق الرسمية الدبلوماسية والمراسلات الملكية مع البلاد المجاورة حسب العرف الدولي وقتئذ الذي لدينا البرهان عليه حتى مصر والبلاد الحثية . وان الاكثر اهمية وتخصيصا في العالم الاوغاريتي هو اقتباس (طرق التفكير) التي تدل عليها الوثائق الادارية او الحقوقية (كالعقود والصكوك المختلفة) ، وتقنيات المحاسبة، او ايضا النصوص الدينية (كالاساطير المقتبسة من مجمع ارباب البابليين ، والطقوس السحرية) .

ولكن ، بالنظر عن كثب ، فان (الاثار غير المكتوبة) يمكن ايضا ان تحمل تاكيدها ، واذا اخذنا بعين الاعتبار التقنيات الحديثة الجارية في (رأس الشمرة – اوغاريت) ، وايضا في مواقع الفرات ، واذا التزمنا باستنطاق (الاثار التي ما زالت غير معروفة جيدا) رغم ظهورها الى حيز الوجود منذ زمن . . . فاننا نلاحظ بالنسبة للعصر البرونزي الحديث (الاحسن معرفة في اوغاريت) ، بأن المقارنة تساعد على فهم افضل ، وتخيل بعض مظاهر حضارة سورية الساحلية وسورية الداخلية . وتقويم العلاقات التي توحدهما .

ولنأخذ اول مثال في ميدان (تنظيم المدن) و (العمارة السكنية) ، فقد قام (و. كالو) بدراسة نموذجية ، في المدينة ، على (بقايا مبان من الحجر) ، مما سمح بملاحظات عن التنظيم العمراني ، وتوزيع مساحات المرور (من شوارع وساحات) والمساحات السكنية ، وتنظيم المساكن في جزيرات سكنية . . .

ومن جهة اخرى ، وبالنسبة للمباني نفسها ، فان دراسة المباني وتقنيات استخدام الحجر والخشب ، وتحليل آبار الدرج ونسبها والسمك المختلف للجدران الذي يسمح بحساب الحمولات والضغوط . كل هذا اتاح محاولة اعادة البيوت السورية النموذجية التي هي كفرضية ولكنها قائمة على حجج معمارية . وقد ساعدت على عملها المقارنة مع نماذج معمارية لمساكن مكتشفة في تنقيبات الفرات (في مسكنة مثلا) . ورغم

اختلاف المواد (كالاجر في الفرات . والحجر في اوغاريت . ولكنه حجر مغطى بطلاء يخفيه . . .) فقد كانت هناك مشابهات : اذ يلاحظ الطابق المطل على الارض . والجدران الخادعة في الطابق الارضي المحفوظ للخزن وبعض الفعاليات المنزلية . والنوافذ الصغيرة المزدوجة في الطابق السكني . وربما كان هنـاك مبنى مفرغ خشبي في بعض الحالات تمثله الزخارف الهندسية المنفذة علـى بعض المجسمات في الفرات . وبكل تاكيد . لـم تكن كل البيوت بنفس النموذج . ولكن المقارنة تتيح امكان اعادة عنصر او آخر من العمارة .

اما المثال الآخر ، فانه ماخوذ من (العمـارة الدينية) . وان اكتشاف طراز جديد للمعبد في اوغاريت جعلنا نعيد النظر في قضية (نشـوء المعابد السورية) وذلك بمقارنة (معابد اوغاريت) بمعابد سورية الداخلية .

وهذا المعبد الجديد الذي جرى التنقيب فيه من عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٨٣ . يبدو مندمجا في (حي عمراني) . ويتالف من قاعة كبيرة ذات مدخل غير محوري . ولهـا مقعد ومصطبـة للتقدمات ، مع قطعة صغيرة في الزاوية مستخدمة كقدس الاقداس . وتعود حالته الاخيرة الى القرن الثالث عشـر . وان (المسند الشعائري) او (انبوب الجريان) الذي اتى منه يجعلنا نفكر بقطع مماثلة ومزينـة ايضـا بنواتىء مطبقـة اكتشفت في الفرات (في مسكنه) .

ان هذا النموذج من العمارة المقدسة يذكرنا ببعض (معابد المشـرق من العصـر البرونزي الحديث) ، في حين ان المعابد الاخرى فياوغاريت المعروفة سـابقا (معبد بل ومعبد دجن علـى الاكروبول) هي مـن طراز يعـود الى التقليـد السوري المشاهد في مكان آخر مثل : (تـل مرديخ ـ ابلا) في العصر البرونزي الوسيط ، وفي (مسكنه ـ ايمار) في العصـر البرونـزي الحديث ، مكتفين بهذه الامثلة التي ظهرت حديثا الى حيز الوجود . وهناك اختلافات هامة في تفصيل المخططات ، ولكنها كلها تقدم (معبدا بتقدمه بهو مع مدخل محوري) . وان دراسـة مختلف هذه الاماكن المقدسة تؤدي الى التفكير بأن التنوع النموذجي لمباني العبادة في اوغاريت كما في الفرات يضفي عليها مظاهر مختلفة رغـم المحافظة على الضرورات الاساسية التي يتطلبها بيت الخالق .

واخيرا . فان مثالنا الاخير متعلق (بالعادات الجنائزية) . فمن البحر المتوسط حتى الفـرات يلاحظ استمرار العديـد مـن مظاهر الاثاث الجنائزي للمدافن في هذا العصر . وان القبور كثيرة جدا في (اوغاريت) وتقع في البيوت وكانت موضوع عبادة عائلية . وبنفس العصر في (ماري) هناك ما يشجع على المقارنة مع قبور العصـر الميدي الاشوري . وقد اكتشفها اندره بارو . ولا يعرف جيدا المبنى الذي تتعلق به . ولكـن دراسة الاثاث الجنائزي تسمح بمقارنات موحية الى اقصى حد . وتوجد هنا مثلا قطع ذات قيمة رمزية (مثل بيض النعامة رمز العودة الى الحياة والخلود) اتت طبعا من السهوب السورية وليس من الساحل . وفي هذه الحالة . اذا وجد منها في قبور (ماري) . فان الكثير منها اكتشف في (اوغاريت) بل وقبرص (بدون واسطة ماري بدون شـك) .

وهناك ايضا اشياء ذات مدلولات (مثـل الخزفيات) وصلتنا من نفس القبور . وعلـى سبيل المثال هناك دليل محدد قدمتـه (آني كوبيه) انطلاقا من هذه الزمرة من الاشياء المحددة جدا . مؤكدة العلاقات التجارية . واقتباسـات التقاليد ايضـا التي يمكـن متابعـة مسـاراتها واشتراكاتها من شرق وغرب سورية وما وراءها .

وما زال هناك الكثير لتعلمه عن (عالم الفرات) في العصر البرونزي الحديث . وفي خلال السنوات العشرة الاخيرة حققت الاعمال خطوة هامة . وان علاقات منطقة (ماري) مع (الساحل السوري) لم تنته بنهاية (عظمة ماري) وتاثيرها . وان وجود نص في (اوغاريت) من القرن الثالث عشر يذكر اسما من (ماري) وذلك حسب الدراسـة التي مازالت جارية ،هو برهان آخر على ذلك . وان الاعمال المقارنة للعمارة ، والاعمال الجارية على هذه الاشياء تفتح رؤية على (العلاقات بـين مختلف مناطق سـورية ودورها في العلاقات الدولية) .

مرغريت يون